(تأمـلات قرآنيـة في جريـان الريـاح)

إعداد

أ. م . د عبد عطا الله محمد المحلاوي **مصطفى نجاح جاسم محمد الألوسي**

دكتـــوراه فلســـفة واصـــول الـــدين **طالـــب دراســـات عليـــا ماجســـتير علـــوم القرآن**

المقدمة

الحمد لله رب كل شيء وملكيه خالق الخلق فأتقن خلقهم وتدبيرهم المنفرد بالجلال في كبريائه وتعاليه المتكفل بحفظ عبده في جميع موارده ومجاريه فهو الذي سخر الرياح وأجراها بأمره وكان ربك قديرا والصلاة والسلام على من جاء للعالمين بشيراً ونذيرا صلاة تزلفه وتحيه وترفع منزلته وتعليه أما بعد:

إن من الأسباب التي أدت الى اختيار هذا الموضوع:

١- إن الرياح أعجوبة من الأعاجيب التي

خلقها الله عز وجل وفيها من صور الإعجاز العلمي التي أخبر الله عز وجل بها من قبل وهي من أعظم الآيات الدالة على عظمته وقدرته و وجوب إخلاص العبادة له وفيها دلالة على ربوبيته وعبادته

٢- كون الحديث عن جريان الرياح يشتمل على مواضيع ونعم متعددة التي أنعم الله بها على الكائنات الحية سواء أكانت إنساناً أو حيواناً أو طائراً يطير بجناحية أو نباتاً

الدراسات السابقة:

وقد لاحظت أنه غلب على الدراسات التي عنيت بالرياح وطبيعة جريانها الطابع العلمي البحت أما الدراسات الشرعية فقد تناثر الموضوع فيها بيت سطور كتب التفسير وقد حاولت في هذا البحث دراسة الرياح وجريانها من الناحية الكونية والعلمية والتفسيرية والقصصية مع التطرق إلى بعض اللفتات التي لها علاقة بهذا الموضوع

منهج البحث وطبيعة العمل فيه:

لقد أتبعت لإعداد هذا منهجاً علمياً منظما حاولت فيه قد المستطاع الوصل الى بحث يكون نافعاً لي ولمن أراد الانتفاع به و كان أول عمل قمت به تجميع الآيات الكريمة التي تحدثت عن الجريان وقراءة معانيها من كتب التفسير والإعجاز العلمي كما رجعت الى المعاجم والكتب اللغوية وجمعت في بحثي بين الكتب القديمة والحديثة وبين أنواع التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي وكان للغة والتعبير البياني للقرآن الكريم أثر في البحث إذ نزل بلسان عربي مبين

خطة البحث

وعملي في بحثي هذا يتجلى في مساره من المقدمة إلى الخاتمة في ضوء خطة البحث الآتية

المقدمة: هذه وتضمنت بيان ماهية موضوع الرسالة ومنهج البحث الذي سرت عليه

المبحث الأول: تعريف الريح لغةً واصطلاحاً واستعمالاتها في السياق القرآني: وتم تقسيمه الى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الريح لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: استعمالات الريح و الرياح في السياق القرآني.

المطلب الثالث: الفرق بين (الريح) و(الرياح) في الاستعمال القرآني.

البحث الثاني: وظائف جريان الرياح: وتم تقسيمه الى أربعة مطالب:
المطلب الأول: وظيفتها في تلقيح النبات.

المطلب الثاني: وظيفتها في إثارة السحب وإنزال المطر.

المطلب الثالث: وظيفتها في جريان الفُلْك.

المطلب الرابع: وظيفة جريانها في العذاب.

المصادر والمراجع: وقد تم ذكرها مرتبة على وفق الحروف الهجائية لأسماء الكتب.

.....

المبحث الأول: تعريف الريح واستعمالات الريح والرياح في السياق القرآن

المطلب الأول: تعريف الريح لغةً واصطلاحا

اولاً: تعريف الريح لغةً.

الرِّيحُ لغةً: واحدة رياح وأَرْيَاحٌ وقد تجمع على أَرْوَاحٍ لأن أصلها الواو وإنما جاءت بالياء لانكسار ما قبلها فإذا رجعوا إلى الفتح عادت إلى الواو كقولك: أَرْوَحَ الماءُ وتَرَوَّحْتُ بالمِرْوَحَة ويقال ريحٌ وريحةٌ كما قالوا دار ودارة وتصغيرها رُوَيْحة [١]، والرِّيحُ الْهواء إذا تحرك وهي التي تهب[٢]، و إنما سميت الريح ريحاً؛ لأن الغالب عليها في هبوبها المجيء بالرَّوح والراحة، وانقطاع هبوبها يكسب الكرب والغم والأذى فهي مأخوذة من الرَّوْحِ وأصلها رِوْحٌ فصارت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها والدليل على أن أصل ريح رِوْح قولهم في الجمع أَرْوَاحٍ[٣]، فالريح "نسيم"[٤] الهَواء المسخر بين السماء والأَرض وكذلك نسيم كل شيءٍ وهي مؤنثة[٥]، والرياح عند العرب أربع بحسب مهابها من الجهات الأربع: الشّمال وهي التي تجيء عن يمينك إذَا استقبلت قبلة العراق وهي في الصيف حارة واسمها البارح والجمع البوارح والجنوب تقابلها والصبا من مطلع الشّمس وهي القبول

---

[١] ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار،(دار العلم للملايين – بيروت–لبنان)، ط٤،(١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م)، مادة روح (١/ ٣٦٧).

[٢] ينظر: المغرب في ترتيب المعرب: أبو الفتح ناصر الدين علي بن المطرز، (مكتبة أسامة بن زيد – حلب – سوريا)، ط١، (١٩٧٩م)، مادة روح (٢٠٠).

[٣] ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، (مؤسسة الرسالة – بيروت– لبنان)، ط١، (١٤١٢ هـ –١٩٩٢م)، مادة روح (٢/ ٣٨٤).

[٤] النسيم: هو نفس الشيء وروحه فيقال: ذو نسيم أي ذُو رُوحٍ فنفس الإنسان نسيم و يقال: وجدت نسيم الريح أي: نفسها وقد نسمت نسيماً ونسماناً ونسمتها تتّبعت نسيمها والنَّسَمُ والمَنْسَمُ من النَّسيم، ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: لابن سيده المرسي، مادة نسيم (٨/ ٥٣٤).

[٥] ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، مادة روح(٦/ ٤١٢).

والـدَّبور تقابلهـا مـن المغـرب[٦] ولكـل واحـدة مـن هـذه الريـاح طبـع فتكـون منفعتهـا بحسـب طبعهـا فالصـبا حـارة يابسـة والـدَّبور بـاردة رطبـة والجنـوب حـارة رطبـة والشـمال بـاردة يابسـة واخـتلاف طباعهـا كـاختلاف طبـائع فصـول السـنة وذلـك أن الله تعـالى وضـع للزمـان أربعـة فصول مرجعها إلى تغيير أحوال الهواء بحركة الرياح[٧]

ثانياً: معنى الريح اصطلاحاً.

الـريح اصـطلاحاً: هـي الهـواء المتحـرك الـذي حيـزه الفضـاء علـى سـطح الأرض[٨]، وهـو جسم لطيف شفاف غير مرئي ومن آياته ما جعل الله فيه من القوة التي تقلع الأشجار وتعفي الآثـار، وتهـدم الـديار وتهلـك الكفـار، وتربيـة الـزرع وتنميتـه واشـتداده بهـا وسـوق السـحاب بهـا[٩]، والهـواء مـن أعظـم نعـم الله تعـالى علـى الأحيـاء، إذ وجـوده شـرط لحيـاة كـل نبـات وحيـوان فلـو رفعـه الله تعـالى مـن الأرض لمـات كـل حيـوان وإنسـان فـي طرفـة عـين ولا تـتم منافعـه إلا بحركتـه التـي يكـون بهـا ريحـا[١٠]، وحركـة الهـواء بعـد أن لـم يكـن متحركـا لا بـد لـه مـن سـبب، وذلـك السـبب لـيس نفـس كونـه هـواء ولا شـيئا مـن لـوازم ذاتـه وإلا لـدامت حركـة الهـواء بـدوام ذاتـه وذلـك محـال فلـم يبـق إلا أن يقـال: إنـه يتحـرك بتحريـك الفاعـل المختـار وهـو الله عـز وجـل[١١]، و السـبب الأكثـر فـي تكـون وحركـة الـريح معـاودة الأدخنـة الصـاعدة مـن الطبقـة البـاردة لانكسـار حرهـا وتمويجهـا للهـواء، فـلا ريـب فـي أن الأسـباب الفاعليـة والقابليـة لـذلك كلـه مـن خلـق الله عـز وجـل والفاعـل للسـبب فاعـل للمسـبب قطعـا ومـن أنـواع الريـاح ثمانيـة فـي القـرآن أربعـة للرحمـة وأربعـة للعـذاب، فأمـا التـي للرحمـة المبشـرات، والناشـرات، والـذاريات، والمرسـلات وأمـا التـي للعـذاب فـالعقيم، والصرصـر فـي البـر والعاصـف،

---

[٦] ينظر: التلخِيص في معرفة أسماء الأشياء: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: عزة حسن، (دار طلاس – دمشق – سوريا)، ط٢، (١٩٩٦ م)، (٢٧٣).

[٧] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١ هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، (دار عالم الكتب – الرياض – السعودية)، (١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م)، (٢/ ١٩٩).

[٨] ينظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٩٠م)، (٨/ ٤١٤)، و تفسير الشعراوي (الخواطر): محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، (٨/ ٤٧٢٤).

[٩] ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم أبو الحسن المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ)، تحقيق: محمد علي شاهين، (دار الكتب العلمية – بيروت)، ط١(١٤١٥هـ)، (١/ ٩٩).

[١٠] ينظر: تفسير المنار: لمحمد القلموني، (٨/ ٤١٤).

[١١] ينظر: مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، (دار إحياء التراث العربي – بيروت)، ط٣(١٤٢٠هـ)، (١٩/ ١٣٥).

والقاصف في البحر[١٢]، ومن خلال هذا يفهم أن الريح هي الهواء المسخر بين السماء والأرض الذي حيزه الفضاء

المطلب الثاني: استعمالات الريح و الرياح في السياق القرآني.

لقد استعمل القرآن الكريم لفظة الريح والرياح في آيات عدة وكل منها لها دلالة خاصة بها فدلت في القرآن الكريم على معان ثلاث وهي ما يأتي:

الدلالة الأولى: الريح بمعنى الهواء المتحرك[١٣]، وقد وردت في هذا المعنى العديد من الآيات التي تكون أحياناً للرحمة وأحياناً للعذاب فمن ذلك قوله تعالى: {وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ}[١٤]، وكذلك قوله تعالى: {وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ }[١٥]

الدلالة الثانية: الريح بمعنى الرائحة، أما عن معنى الريح كرائحة فنحن نجده في قوله الحق: {وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ }[١٦]، والريح: الرائحة وهي ما يعبق من طيب تدركه حاسة الشم[١٧]، إن يعقوب والد يوسف (عليهما السلام) كان يملك حاسة شم قوية فعندما خرجت القافلة من مصر قال: إني أشم رائحة يوسف، ولقد ثبت حديثا أن الرائحة هي أبقى الآثار بالنسبة إلى الكائن الحي، بدليل أن الذين عندهم حاسة الشم قوية من الكائنات، كالكلاب البوليسية يستدلون برائحة الجاني على مكان وجوده[١٨]

الدلالة الثالثة: الريح بمعنى قوة ودولة، فقد جاءت بهذا المعنى فقال تعالى: {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ}[١٩]، وتذهب ريحكم أي قوتكم و وحدتكم وما كنتم فيه[٢٠]،

المطلب الثالث: الفرق بين (الريح) و(الرياح) في الاستعمال القرآني:

المشهور عند المفسرين أن لفظ (الرياح) إذا جاء في القرآن بصيغة الجمع فإنه يأتي في موضع الرحمة، وإذا جاء لفظ (الريح) في القرآن بصيغة المفرد فإنه يأتي في موضع

---

[١٢] ينظر: تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم): أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)،(دار إحياء التراث العربي – بيروت)، (٦/ ٢٩٥).

[١٣] ينظر: مفاتيح الغيب: للرازي، (١٩/ ١٣٥).

[١٤] سورة الحجر: بعض الآية أية (٢٢).

[١٥] سورة الذاريات: بعض الآية (٤١).

[١٦] سورة يوسف: أية (٩٤).

[١٧] ينظر: التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد): محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي(ت : ١٣٩٣هـ)،(الدار التونسية للنشر – تونس)،(١٩٨٤هـ)، (١٣/ ٥٢).

[١٨] ينظر: تفسير الخواطر: لمحمد متولي الشعراوي، (٢/ ٦٨٩).

[١٩] سورة الأنفال: بعض الآية (٤٦).

[٢٠] ينظر: تفسير القرآن العظيم (ابن كثير): أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) تحقيق: محمد حسين شمس الدين، (دار الكتب العلمية – بيروت)، ط١(١٤١٩هـ)،(٤/ ٦٣).

العذاب وأكثر المفسرون من الاستدلال بحديث عبد الله ابن عباس (رضي الله عنه) قال: كان النبي (صلى الله عليه وسلم) إذا هاجت ريح استقبلها بوجهه و"جثا"[٢١] على ركبتيه ومد بيديه وقال: ((اللهم إني أسألك خير هذه الريح وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا))[٢٢]، فإنه يدل على أن مواضع الرحمة بجمع الرياح أولى قال أبي بن كعب (رضي الله عنه): ما كان في القرآن من الرياح فهي للرحمة ومن الريح فهي للعذاب[٢٣]، وقد جاءت في القرآن مجموعة مع الرحمة مفردة مع العذاب، وعامة المواضع التي ذكر الله تعالى فيها إرسال الريح بلفظ الواحد فعبارة عن العذاب، وكل موضع ذكر فيه الرياح بلفظ الجمع فعبارة عن الرحمة[٢٤]، "فكلمة ريح تعبر عن القوة المدمرة للهواء؛ لأن الريح إذا اتحدت قوتها واتجاهها أصبحت مدمرة ولكن إن قابلتها ريح ثانية فالتوازن يحدث بين القوتين؛ لأن تعدد اتجاهات الرياح هو الذي يوجد التوازن في الحياة"[٢٥]، و حين يستخدم الحق كلمة الريح لا يتكلم عنها إلا للتخريب والتدمير أما إن تكلم عنها للخير يأتي بكلمة رياح فإذا أراد الله أن يهلك بالريح جاء بها من جهة واحدة فتصير قوة الريح من ناحية لا تعادلها قوة أخرى ولذلك نجد الحق سبحانه وتعالى حينما يعذب قوماً أو ينزل بهم عقاباً فهو يرسل عليهم ريحاً، ويقول جل وعلا : {إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ }[٢٦]، {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا}[٢٧]، وغيرها من الآيات الواردة فيها لفظة الريح بالأفراد الدالة على العذاب والضرر وقال في آيات أخرى بلفظ الرياح بصيغة الجمع بما تدل عليه من الرحمة فقال تعالى: {وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ}[٢٨] {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ}[٢٩]، وغيرها من الآيات الدالة على الرحمة، وعللوا ذلك؛ لأن ريح العذاب شديدة ملتئمة الأجزاء كأنها جسم واحد ورياح الرحمة لينة متقطعة فلذلك هي رياح[٣٠]، ولكن هذه القاعدة كسرتها آية واحدة في قوله

---

[٢١] جَثا: جَلَسَ جُلُوسًا على ركبتيه ومنها يَجْثو ويجثى جثيا وجثوا وأجثاه غيره وقومُ جُثِيٌّ و العرب لا تستعمل الجُثُوَّ إلا في عمل الإنسان إذا جثا على ركبتيهِ، ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: للجواهري، مادة جفا (٦/ ٢٢٩٨).

[٢٢] أخرجه الإمام الطبراني في معجمه الكبير، باب العين، عكرمة عن ابن عباس: (١١/ ٢١٣) برقم (١١٥٣٣)، قال الهيثمي: فيه حسين بن قيس الرحبي الملقب بحنش وهو متروك وقد وثقه حسين بن نمير وبقية رجاله رجال الصحيح، ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، (مكتبة القدسي- القاهرة)، ط٢(١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م)، (١٠/ ١٣٦).

[٢٣] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، (٢/ ١٩٨).

[٢٤] ينظر: المفردات في غريب القرآن: للأصفهاني، (٢٠٦).

[٢٥] تفسير الخواطر: لمحمد متولي الشعراوي، (٨/ ٤٧٢٥).

[٢٦] سورة القمر: بعض الآية (١٩).

[٢٧] سورة الأحزاب: بعض الآية (٩).

[٢٨] سورة الحجر: بعض الآية (٢٢).

[٢٩] سورة الروم: بعض الآية (٤٦).

[٣٠] ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (دار الكتب العلمية – لبنان)، ط١(١٤١٣هـ-١٩٩٣م)، (١/ ٢٣٣).

تعالى: {حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا}[٣١]، وترجع الحكمة والسبب فيها؛ لأن الريح لو اختلفت على السفينة عند جريانها لكانت كارثة فكان لابد أن تأتي الرياح إلى السفينة من اتجاه واحد ولذلك لم يترك الله كلمة ريح مطلقة بمفردها وإنما وصفها بأنها ريح طيبة[٣٢]؛ لأن ريح إجراء السفن إنما هي واحدة متصله ثم وصفت بالطيب فزال الاشتراك بينها وبين ريح العذاب[٣٣]، ومن هذا كله نفهم أن ورود لفظ الريح في القرآن الكريم بصيغة المفرد يدل على العذاب و ورودها بلفظ الرياح بصيغة الجمع يدل على الرحمة

لمبحث الثاني: وظائف جريان الرياح

المطلب الأول: وظيفتها في تلقيح النبات

أشار القرآن الكريم إلى وظيفة هامة تقوم بها الرياح وهذه الوظيفة هي عملية تلقيح النباتات عن طريق إرسال الرياح، و ما فيه من حقائق كونية وعلمية كانت مجهولة عند جميع البشر وما عرفت لهم إلا في هذا العصر الأخير يقول الله تعالى: {وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ }[٣٤] من بلاغة الآية قد أفادت عملين تعملهما الرياح لكونها ملقحة للسحب، وملقحة للنبات كما فسرت الآية بهما، عن ابن عباس(رضي الله عنه) في قوله: {وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ } قال: تلقح الشجر والسحاب[٣٥]، و في هذه الآية استدلال بظواهر كرة الهواء الواقعة بين السماء والأرض وذلك الاستدلال بفعل الرياح بما فيها من الفوائد من خلال حركتها[٣٦]، والتعبير عن الرياح بأنها لواقح أكسبها حياة تلقح وتنتج وتهيج وتسكن وتجيء وتذهب وهذا هو المقصود، واستعمال الإرسال أكثر دقه وبيان في عمل الرياح ومهمتها التي وكلت بها للتلقيح[٣٧]، فالْإِرْسَال السير السهل الرخاء واسترسلت إلى الشيء التوجه إليه وقصده إذا انبعثت نفسك إليه والمرسلات الرياح[٣٨]، وفي هذا إشاره الى أن الرياح مستمرة في وظيفة تؤديها وتقوم بها فهي نقل شيء من مكان إلى مكان وهي مستمرة الهبوب في الكرة الهوائية[٣٩]، فالذي يحتاج إلى استمرارية في الفعل يقول فيه الحق: (أرسل) بدليل أن الله حينما أراد أن يجيء بالطوفان ليغرق المكذبين بموسى قال:

---

[٣١] سورة يونس: بعض الآية (٢٢).

[٣٢] ينظر: تفسير الخواطر: للشعراوي، (٢/ ٦٩١).

[٣٣] ينظر: البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، (دار الفكر – بيروت). ط١(١٤٢٠هـ)،(٢/ ٨٢).

[٣٤] سورة الحجر: بعض الآية (٢٢).

[٣٥] ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) تحقيق: مركز هجر للبحوث، (دار هجر – مصر)، (١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م)، (٥/ ٧٢).

[٣٦] ينظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور، (١٤/ ٣٧).

[٣٧] ينظر: التصوير الفني في القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، ط ١٧، (٧٥).

[٣٨] ينظر: معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط٢ (١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م)، (٢/ ٣٩٢– ٣٩٣).

[٣٩] ينظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور، (١٤/ ٣٧).

{فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ}[٤٠] وعندما أراد أن يرغب عاداً قوم سيدنا هود في الاستغفار والرجوع عما كانوا عليه من الكفر قال لهم: {وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا }[٤١] إذن فالإرسال يعني التواصل والاستمرار و الدفع للشيء من حيز إلى حيز آخر[٤٢]، فهي سبب في عملية لقاح الأشجار وتخصيبها ومن المعروف عند أهل اللغة أن "اللام والقاف والحاء في (لقح) أصل صحيح يدل على إحبال ذكر لأنثى ثم يقاس عليه ما يشبه منه لقاح النعم والشجر و أما النعم فتلقحها ذكرانها وأما الشجر فتلقحه الرياح"[٤٣]، فكما أن الأنثى تحمل بسبب ضراب الفحل، فكذلك الشجر ينفتق عن أكمامه وأوراقه بسبب إلقاح الريح، له وذكرها بصيغة الجمع ليكون منها الإنتاج بخلاف الريح العقيم، فإنه أفردها ووصفها بالعقيم وهو عدم الإنتاج فالرياح تلعب دوراً بارزاً في عملية التلقيح[٤٤]، "إذ تنقل لقاح كثير من ذكور النبات إلى إناثه"[٤٥]، و تقوم الرياح بجريانها بعملية تلقيح الشجر الأنثوي ذي الثمرة بأن تنقل إلى نوره غبرة دقيقة من نور الشجر الذكري فتصلح ثمرته أو تثبت وهذا هو الإبار وبعضه لا يحصل إلا بتعليق الطلع الذكر على الشجرة المثمرة كما هو الحال في عملية تلقيح النخيل[٤٦]، والتلقيح قد يكون بين العناصر الذكرية والأنثوية للزهرة الواحدة أو النبتة الواحدة ويسمى عندئذٍ التلقيح الذاتي، وقد يكون بين نبتين منفصلتين ويسمى حينئذٍ بالتلقيح المختلط وتختلف طرق انتقال حبيبات اللقاح باختلاف نوع النبات فوجه الإعجاز في قوله تعالى: {وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ} إشارته إلى أن الرياح تقوم بعملية التلقيح الرياحي للنبات، وهذا ما كشف عنه علماء النبات في القرون الأخيرة[٤٧]، و أما الشيء الذي يأخذ بالألباب فهو أن البذور لها أحوال شتى بعض هذه البذور مجنحة لها أجنحة تطير مئات الكيلو مترات فتنقل الاخضرار من بلد إلى بلد و الرياح هي التي تنقلها وتقطع بها مئات الكيلومترات لتزرع زراعة طبيعية في أراض رطبة فتنبت الأشجار ذات البهجة والجمال، وبعض هذه البذور لها زغب كزغب الصوف تطير أيضا في الهواء ولكن لمسافات قصيرة، فالتي خلقت لتنتقل عبر مئات الكيلومترات لها أجنحة، أما التي خلقت لتنتقل عبر مسافات فلها زغبات كزغبات الصوف معتمدة في تنقلها على الرياح الحاملة لها[٤٨]، فالتلقيح الرياحي ضروري في عملية الإخصاب وخاصة للنباتات ذات الأزهار الفاقدة للحشرات حيث تقوم الرياح بنشر اللقاح على مسافات واسعة فعلى سبيل المثال تنشر الرياح لقاح الصنوبر على مسافة تصل الى ٨٠٠ متر قبل

---

[٤٠] سورة الأعراف: بعض الآية (١٣٣).

[٤١] سورة هود: بعض الآية (٥٢).

[٤٢] ينظر: تفسير الخواطر: لمحمد الشعراوي، (٧/ ٤٤٠٤).

[٤٣] معجم مقاييس: لأبن فارس، (٥/ ٢٦١).

[٤٤] ينظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (٤/ ٤٥٥).

[٤٥]التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب (ت: ١٣٩٠هـ)، (دار الفكر العربي – القاهرة)، ط ٢، (٧/ ٢٢٨).

[٤٦] ينظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور، (١٤/ ٣٨).

[٤٧] ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة: يوسف الحاج أحمد، مكتبة دار أبن حجر، ط ١، (١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م)،(٢٥٣).

[٤٨] ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: محمد راتب النابلسي، (دار المكتبي – سورية – دمشق)، ط ٢،
(١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م)، (٢/ ١٢٠).

أن يلتقي اللقاح بالعناصر الأنثوية ويتم التلقيح، ثم أن تلك الكميات الموجودة في الهواء من ذلك اللقاح هي السبب الرئيس للحمى المعروفة حمى (القش) والمعروفة عندنا (الحساسية الموسمية أو حساسية القداح) والتي تصيب الأشخاص ذوي الحساسية المفرطة[٤٩]، وكل ما يقال له شيء لا بد له من ذكر وأنثى قال تعالى: {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}[٥٠] إذن فكل شيء من خلق الله فيه الذكورة والأنوثة فقال تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ }[٥١] وقال تعالى: {وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ}[٥٢] "وهذه الآية تتضمن حقيقة لم تعرف للبشر من طريق علمهم وبحثهم إلا قريبا، هي أن كل الأحياء وأولها النبات تتألف من ذكر وأنثى، حتى النباتات التي كان مظنونا أن ليس لها من جنسها ذكور تبين أنها تحمل في ذاتها الزوج الآخر، فتضم أعضاء التذكير وأعضاء التأنيث مجتمعة في زهرة، أو متفرقة في العود وهي حقيقة وفيها إثارة الفكر إلى تدبر أسرار الخلق و ظواهره"[٥٣]، ومن المعلوم أن بعض الكائنات لا نفرق فيها بين الذكر والأنثى مثل شجرة الزيتون ومنها ما يكون الذكر غير موجود تحت أعيننا ولكن يوجد على بعد فتأتي الريح بحبوب التلقيح لتخصب النبات، وقد يوجدان الذكورة والأنوثة معاً في شيء واحد مثال ذلك عود الذّرة حيث نجد ذكورته وأنوثته في شيء واحد فقمة العود فيها الذكورة ويخرج من كل ذرة قدراً من الخيوط الرفيعة وهذه هي حبال الأنوثة وينقل الرياح طلع الذكورة من سنبلة الذرة إلى هذه الخيوط[٥٤]، فالقرآن ما كان إلا من عند الله الذي خلق الأشياء ويعلم حقائقها كلها وفيه إشارات علمية سيقت مساق الهداية، فمسألة تلقيح النباتات بواسطة جريان الرياح حقيقه علمية كونية أجمع عليها علماء العصر، و أنها من المكتشفات الحديثة ولم تكن معلومة عند أحد من الخلق قبل اكتشافها، ولا كانت عندهم الآلات الموصلة إلى معرفتها[٥٥]، ولما اهتدى علماء أوربا إلى هذا وزعموا أنه مما لم يُسبقوا إليه من العلم صرح بعض المطلعين على القرآن وهو مستر (أجنيري) المستشرق الذي كان أستاذا للغة العربية في مدرسة أكسفورد في القرن الماضي قال: (إن أصحاب الإبل قد عرفوا أن الريح تلقح الأشجار والثمار قبل أن يعلمها أهل أوربة بثلاثة عشر قرنا) و صرح بسبق العرب إليه[٥٦]، أوليس هذه الحقائق العلمية هي تأكيدات لما جاء في كتاب الله تعالى فهل كان محمد(صلى الله عليه وسلم) عالم نبات ليصدر عنه مثل هذا القول وهو النبي الأمي؟ أم هل كانت عنده الدراسات حول النبات وعملية تلقيحه وهو قاطن الصحراء منذ أكثر من أربعة عشر قرناً؟ أم هل كان يعلمه بشر وهو قد عاش بين قبائل لا تعرف إلا الشعر ورعي الأغنام؟ فهذه إحدى وظائف

---

[٤٩] ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القران والسنة المطهرة: ليوسف الحاج، (٢٥٣-٢٥٢-٢٥٤).

[٥٠] سورة الذاريات: بعض الآية (٤٩).

[٥١] سورة يس: بعض الآية (٣٦).

[٥٢] سورة الرعد: بعض الآية (١٣).

[٥٣] في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، (دار الشروق - بيروت- القاهرة)، ط١٧(١٤١٢ هـ)، (٤/ ٢٠٤٦).

[٥٤] ينظر: تفسير الخواطر: لمحمد الشعراوي، (٥/ ٣٠٦٩).

[٥٥] ينظر: تفسير ابن باديس(في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير):عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي(ت: ١٣٥٩هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدين،(دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان)،ط١(١٤١٦هـ - ١٩٩٥م)،(٢٩٣-٢٩٤).

[٥٦] ينظر: تفسير المنار: لمحمد القلموني، (١/ ١٧٦).

جريان الرياح وما سبق إليه القرآن من العلوم الشاهدة الدالة على صدق دعوة النبي (صلى الله عليه وسلم) قال تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}[٥٧].

المطلب الثاني: وظيفتها في إثارة السحب وأنزال المطر:

لقد تلازم ذكر الرياح مع السحب في كثير من الآيات التي تتحدث عن تكوين المطر وإنزاله من السماء من خلال حركة الرياح وجريانها في الجو وما تقوم به من تكوين الغيوم المحملة بالمطر ونقلها من مكان إلى مكان، وما تجلبه بجريانها من الخير والنفع للمكان الذي تأتي إليه فبين الله تعالى عملها في آيات عدة ومن ذلك وصفه لها بإثارة السحاب قال تعالى: {وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ}[٥٨] وفي آية أخرى قال: {اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}[٥٩]، والآية هنا تعرض هذه الظاهرة التي تتشكل من حركة الرياح وما تثير من بخار وسحاب وما ينزل من السحاب من ماء، وما يدخل منه على الناس من بشر وغبطة[٦٠]، فبين تعالى كيف يخلق السحاب الذي ينزل منه الماء إما من البحر، أو مما يشاء الله عز وجل فيبسطه و يمده في السماء كيف يشاء فيكثره وينميه ويجعل من القليل كثير ينشئ سحابة ترى في رأي العين مثل "الترس"[٦١]، ثم يبسطها حتى تملأ أرجاء الأفق[٦٢]، ومن علمه وإعجازه فقد راعى الله عز وجل التقديم والتأخير فجاء ذكر السحاب بعد الرياح؛ لأنها هي التي تثيره وتجمعه وهي التي تسوقه إلى حيث ينزل مطراً في الأماكن التي يريد الله إحياءها، فقال: {اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا} والإثارة رفع الشيء المستقر وقلبه بعد استقراره يقال: ثار الغبار إذا ارتفع وإثارة السحاب إنشاؤه بما تحدثه الرياح في الأجواء من رطوبة تحصل من تفاعل الحرارة والبرودة فتسوقها الرياح وتدفعها من مكان إلى مكان[٦٣]، وكذلك سمي السحاب سحابا لانسحابه في الهواء[٦٤]، و إثارة الرياح للسحاب هو قدرتها على حمل كميات متفاوتة من بخار الماء الذي يكون سبباً في سقوط الأمطار من خلال العلاقة الظاهرة بين الماء والهواء، "إن العلاقة بين الماء والهواء هي أن الهواء يتحمل بخار الماء بنسب متفاوتة مع درجات الحرارة فإن مترا مكعبا مثلا من الهواء في درجة الصفر يتحمل خمسة غرامات من بخار الماء مع أنه إذا سخن هذا الهواء إلى درجة عشرين أو ثلاثين فقد يتحمل مئة وثلاثين غراما من بخار الماء"[٦٥]، فالمياه تتبخر على شكل سحاب طبقي فتمتد بشكل أفقي في السماء لكنها لا تتكاثف إلا بوجود الرياح؛ لأن الرياح تظهر السحاب فأصبح يرى بشكل

---

[٥٧] سورة النجم: بعض لآية (٣-٤).

[٥٨] سورة فاطر: بعض لآية (٩).

[٥٩] سورة الروم: بعض لآية (٤٨).

[٦٠] ينظر: التفسير القرآني للقرآن: لعبد الكريم الخطيب، (١١/ ٥٣٧).

[٦١] الترس: التُرْسُ جمعه تِرَسَةٌ وتِراسٌ وأتْراسٌ وتُروسٌ و التُرس بالضم من جلد الأرض الغليظ منها كأنه على التشبيه القاع المستدير الأملس، ينظر: تاج العروس: للزبيدي، مادة ترس (١٥/ ٤٧٨).

[٦٢] ينظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (٦/ ٢٨٩).

[٦٣] ينظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور، (٢١/ ٥٧ – ١٢١).

[٦٤] ينظر: مفاتيح الغيب: للرازي، (٤/ ١٧٣).

[٦٥] موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: محمد راتب النابلسي، (٢/ ٨٥).

غيوم ترتفع إلى الأعلى بسبب قوة الدفع من الأسفل[٦٦]، وقانون الدفع من الأسفل الى الأعلى يكون "عندما يسخن الهواء بملامسته سطح الأرض بحيث يصبح أدفأ من كتل الهواء المحيط به، فإنه يتمدد فتقل كثافته ويرتفع إلى أعلى وبارتفاعه يتناقص ضغطه، وتنخفض درجته حتى تصل رطوبته إلى درجة التشبع، فيبدأ ما به من بخار الماء في التكثف"[٦٧]، فهذا الماء يتبخر والرياح تحمل الماء وتبسطه في السماء كيف يشاء الله عز وجل إن شاء بسطه مسيرة يوم أو أكثر،[٦٨] فقال: {وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا} قال مجاهد وقتادة (رضي الله عنهما): كِسَفاً يعني قطعا[٦٩]، وهذا شرط آخر هو أن تكون بشكل قطع كبيرة من الغيوم منفصلة عن بعضها وقد تمتد القطعة مئات الكيلومترات هذه القطع الممطرة تُكون السحب الركامية قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ}[٧٠] فيشكل أقطابا مختلفة بعضها موجب وبعضها سالب فتحدث الشرارات الكهربائية، وهي اللمع التي يعقبها الرعد[٧١]، وهنا يأتي دور الرياح اللواقح فقال تعالى: {وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً } فأرسلها الى مهمة تؤديها لتتم العملية وتكتمل بإنزال المطر، "يقال: أَرْسَلَهُ في رِسَالَةٍ فهو مُرْسَلٌ"[٧٢] فلم يقل حرك أو أجرى أو أثار الرياح فإرساله إياها تكون أكثر دقة وتنظيما لتكون لواقح، فكما أن الأنثى تحمل بسبب ضراب الفحل فكذلك السحاب يمتلئ ماء بسبب "مري"[٧٣] الرياح له[٧٤]، عن ابن مسعود(رضي الله عنه) في قوله: {وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً } قال: يرسل الله الريح فتحمل الماء فتلقح به السحاب فتدر كما تدر اللقحة ثم تمطر[٧٥]، و قال عبيد بن عمير(رحمة الله): يبعث الله الريح المبشرة "فتقم"[٧٦] الأرض قما ثم يبعث الله المثيرة، فتثير السحاب، ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف السحاب بعضه إلى

---

[٦٦] ينظر: المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة: أحمد عمر أبو شوفة، (دار الكتب الوطنية – ليبيا)، ط(٢٠٠٣م)،(٤٠).

[٦٧] من آيات الإعجاز العلمي الأرض في القرآن الكريم: زغلول النجار، (دار العرفة – بيروت – لبنان)، ط١، (١٤٢٦-٢٠٠٥م)، (٤٧٨/٣).

[٦٨] ينظر: بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، (دار الفكر – بيروت)، تحقيق: د. محمود مطرجي،(٣/ ١٦- ١٧).

[٦٩] ينظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (٦/ ٢٨٩).

[٧٠] سورة النور: بعض الآية (٤٣).

[٧١] ينظر: المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة: لأبي شوفة، (٤٠).

[٧٢]مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ)،تحقيق: يوسف الشيخ محمد، (الدار النموذجية- بيروت – صيدا)، ط٥(١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، (١٢٢).

[٧٣] مري: يقال: الرياح تمري السحاب أي: تزيد المطر فيه و مريت الناقة يمريها مريا أي: مسح ضرعها لتدر وأمريتها حلبتها وأخذت مرية الناقة وهي ما حلب منها، ينظر: تاج العروس: للزبيدي، مادة مرى(٣٩/ ٥٢٢).

[٧٤] ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، (دار الفكر – بيروت – لبنان)، ط٢(١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، (٢/ ٢٦٧).

[٧٥] ينظر: فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)،(دار الكلم الطيب – بيروت)، ط١(١٤١٤هـ)، (٣/ ١٥٤).

[٧٦] قَمَّ: القاف والميم أصل واحد يدل على جمع الشيء ومنه قُم الشَّيْء يقمه قما كنسه وقم الفحل الناقة يقمها قما اشتمل عليها وضربها فألقحها، ينظر: مقاييس اللغة: لأبن فارس، مادة قم(٥/ ٤).

بعض فتجعله ركاما ثم يبعث اللواقح فتلقح[٧٧]، فالرياح تلقح السحاب ببعضه فتتفاعل القوة الموجبة في السحاب مع القوة السالبة فإن أصغر خلية في الذرة وهي الجوهر تتألف من السالب والموجب، وقد جاء العلم الحديث يقرر أن مادة الكون ترجع إلى عنصر واحد هو (الطاقة) ومن الطاقة الموجبة والطاقة السالبة تتكون الذرة، ثم المادة فتلقح الرياح السحب السالبة بالموجبة[٧٨]، وقد توصل العلم الحديث إلى أن نمو السحب ونزول المطر يتطلب أن تلقح الرياح هذه السحب بأكداس من جسيمات مجهرية تسمى (نويات التكاثف)، ومن أهم خواص هذه النويات أنها تمتص الماء أو تذوب فيه وتتم العملية بتجمع جزئيات الماء المنفصلة والموجودة في الهواء حول نويات التكاثف حيث إن أصغر نقط الماء تحتوي على ما لا يقل عن (١٠٠) جزيئة وليس من السهل أن يتجمع مثل هذا العدد مع بعضه لمجرد الصدفة ما لم توجد نويات تترسب عليها الجزيئات وتحتفظ بها[٧٩]، وبحمل الرياح لمزيد من بخار الماء للسحب المتكونة وبتوافر مزيد من نويات التكاثف وبعض المركبات الكيميائية، مثل الأملاح المتصاعدة مع بخار الماء تسهم في تجمع قطيرات الماء إلى بعضها البعض[٨٠]، و تزداد القطرات حجماً وكتلة فيعجز الهواء عن حمل القطرات الكبيرة الحجم نسبياً التي تتراوح من عشري مليمتر إلى نصف مليمتر، أو أكثر من ذلك في القطرة الواحدة، و تسقط بفعل الجاذبية الأرضية متى وحيث يريد الله ، ومن معطيات العلوم الحديثة تقرر دور جريان الرياح في تلقيح أنواع السحب بنويات التكاثف، وبحوادث التفريغ الكهربائي بين الشحنات السالبة والموجبة في السحب لتهيئة ظروف التهاطل، وهذا الدور للرياح الذي أقرته الأبحاث العلمية الحديثة وأتت به الآيات القرآنية قبل أن تثبته علومنا الأرضية بأربعة عشر قرناً[٨١]، وفق ناموسه عز وجل في تكوين هذا الكون وتنظيمه وتصريفه للرياح فيه، وتأليفه، وتجميعه، وتكثيفه، وتراكمه للسحب بعضه فوق بعض و يصطدم بعضه ببعض وتتبعث شرارة كهربائية بين طبقة منه وطبقة أو كسفة منه وكسفة وبعد هذه العملية {فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ }[٨٢] وهو المطر يتساقط من خلال السحاب[٨٣]، إن الحقائق العلمية التي ذكرتها آيات القرآن الكريم عامة وما يتعلق منه بتأثير الرياح في إنشاء السحب وتلقيحها وتشكيلها، ثم نزول المطر أو البرد منها هذه الحقائق من أعجب الأمور وأدقها التي توصل إليها العلم الحديث فلو لم يكن في القرآن الكريم إلا هذه الحقائق لكانت كافية في تعريفنا بأن منزل القرآن هو خالق السماوات والأرض[٨٤]، و شرح العلماء في كيفية تكوينه ونزوله بالتدقيق للآيات المشاهدات ولم يخرج شرحهم الطويل عن الكلمة الوجيزة في بعض الآيات التي ذكر فيها المطر وهي

---

[٧٧] ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (دار إحياء التراث العربي –بيروت)،ط١(١٤٢٠هـ)، (٣/ ٥٤).

[٧٨] ينظر: علوم القرآن الكريم: نور الدين محمد عتر الحلبي،(مطبعة الصباح – دمشق)، ط١(١٤١٤هـ – ١٩٩٣م)،(٢٣٨).

[٧٩] ينظر: مباحث في إعجاز القرآن: د. مصطفى مسلم، (دار القلم – دمشق)، ط٣،(١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م)،(١٩٥).

[٨٠] ينظر: من آيات الإعجاز العلمي الأرض في القرآن الكريم: زغلول النجار، (٤٧٨/٣).

[٨١] ينظر: موسوعة الأعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة: ليوسف الحاج،(٢٥٥-٢٥٦).

[٨٢] سورة النور: أية (٤٣).

[٨٣] ينظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب، (٥/ ٢٧٧٥).

[٨٤] ينظر: مباحث في إعجاز القرآن: لمصطفى مسلم، (١٩٥).

قوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ } ومن المعلوم أن نزول المطر من الأمور المحسوسة[٨٥]، فإذا أصاب الله من يشاء من عباده بنزول المطر إذا هم يستبشرون يفرحون بالمطر ويبتهجون به

المطلب الثالث: وظيفتها في جريان الْفُلْكُ:

الرياح لها أثرها الكبير في جريان وسير السفن في البحر فإذا سكنت الرياح سكنت معها السفن و إذا تحركت الريح تحركت وجرت معها السفن على ذلك البحر قال تعالى: {إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ}[٨٦] فسبحانه بقدرته يحرك هذه السفن وهي مثقلة بحمل البشر والحاجيات ويجريها بقوة دفع الرياح لها وجريانها على هذا الماء الشفاف الذي يرى بالعين بتلك الرياح التي لا ترى بعين ولا تمسك باليد، فهي إنما تجرى بقدرة الله سبحانه وتعالى بهذه الرياح المسخرة التي تجريها وتدفعها فوق الماء ولو شاء الله سبحانه لأمسك هذه الريح فسكنت وسكن مع سكونها جريان هذه الفُلْك وتوقفت عن الحركة فتظل رواكد على سطح الماء لا تتحرك[٨٧]، قال مجاهد والضحاك(رضي الله عنهم): إن يشأ يسكن الريح أي التي تسير في البحر بالسفن و لو شاء لسكنها حتى لا تتحرك السفن بل تبقى راكدة لا تجيء ولا تذهب بل واقفة على ظهر الماء إن في ذلك لآيات في تسخيره البحر وإجرائه الريح بقدر ما يحتاجون إليه لسيرهم[٨٨]، وإسكان الرياح المراد به قطع هبوبها، فإن الريح حركة وتموج في الهواء فإذا سكن ذلك التموج فلا ريح تجريها على وجه الماء والرواكد جمع راكدة والركود الاستقرار والثبوت للشيء[٨٩]، فالسفن البارزة على ظهر البحر تجري وفقا لنواميس الكون التي قدرها الله ومنها أن تتحرك الريح فتجري السفن أو تسكن فتقف رواكد على ظهره[٩٠]، فجعل الرياح سبباً لسيرها فإذا أراد أن ترسو أسكن الريح فلا تبرح عن مكانها، فتصبح السفن سواكن على ظهر البحر واقفة على وجه الماء لا تتحرك، فالمقصود في هذه الآية من خلال حركة وجريان السفن بالرياح الإشارة الى أمرين:

أحدهما: أن يستدل به على وجود القادر الحكيم

والأخر: أن يعرف ما فيه من النعم العظيمة لله تعالى على العباد[٩١]، فمن المعلوم أن القرآن صالح لكل زمان ومكان فهو يخاطب السامعين والناظرين فيه على مر العصور وهذا ما يفهمه المُتمعن بالنظر في آياته والمتفكر في عباراته واستخدامه للألفاظ بما ينسجم مع بلاغته وإعجازه العلمي، ومن هذا ما نجده في كلمة الريح التي يعتبرها المحرك الرئيس للفلك في عملية جريانها على وجه الماء بحيث تكون منسجمة مع عملية جريان السفن الشراعية المعروفة لدى المخاطبين في كل زمان ومكان، ومع ما تعتمد عليه السفن في جريانها اليوم "فهذه الريح هي التي تدفع ذلك النوع من السفن التي كانت معلومة وقتها للمخاطبين وغير الريح من القوى التي سخرت للإنسان في هذا الزمان من بخار أو ذرة، أو ما يشاء الله بعد الآن من جعلها قوة في هذا الكون تحرك الجواري في

---

[٨٥] ينظر: تفسير المنار: لمحمد القلموني، (٢/ ٤٩).

[٨٦] سورة الشورى: بعض الآية (٣٣).

[٨٧] ينظر: التفسير القرآني للقرآن: لعبد الكريم الخطيب، (١٣/ ٥٩).

[٨٨] ينظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (٧/ ١٩١– ١٩٢).

[٨٩] ينظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور، (٢٥/ ١٠٦).

[٩٠] ينظر: التفسير الحديث: دروزة محمد عزت،(دار إحياء الكتب العربية – القاهرة)،ط١(١٣٨٣هـ)،(٤/ ٤٦٩).

[٩١] ينظر: مفاتيح الغيب: للرازي، (٢٧/ ٦٠٢).

البحر"[٩٢] ولو تأملنا دقة الأداء القرآني من الله الذي يعلم ما كان ويعلم ما يكون في زماننا، هذا ويعلم ما سيكون فللقائل الآن أن يقول: لم نعد بحاجة إلى الريح في سير السفن أو توجهها لأنها أصبحت تسير الآن بآلات والمحركات نعم السفن الآن تسير بالمحركات لكن استعمال القرآن للفظ الريح معنى أوسع من ذلك فالريح ليست هذه القوة الذاتية التي تدفع السفن الشراعية فقط على صفحة الماء إنما الريح تعني القوة في ذاتها أياً كانت ريحاً أم بخاراً، وهذا من إنباءات القرآن ومن أدلة رحمته وعنايته بعباده في جريان السفن والمراكب الشراعية على ظهر البحر بجريان الريح ولا ينتقض هذا مع المراكب النارية؛ فإن من شروط مشيها وجود الريح المحركة لها[٩٣]، فالمراد بالريح القوة المطلقة سواءٌ جاءت من هواء أم من بخار أم من ماء، أم فحم أم كهرباء أم ذرة بما ينسجم مع كل هذا التقدم في مجال الملاحة البحرية فالريح مطلق القوة المحركة والدافعة للسفن على ظهر الماء[٩٤]، والقرآن يوضح لنا ذلك فعند استخدام معنى الريح كمطلق القوة نجد القرآن يقول: {وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ } فعبر عن الريح هنا على أنها القوة ويجب ألاّ يغتر الإنسان بما توصل إليه من العلوم ويظن أنه أصبح مالكاً لزمام الأمور في الكون، فالريح هي الأصل في تسيير السفن فإن قال قائل: إن توقفت الريح استخدمنا القوى الأخرى مثل البخار أو الكهرباء أو أي شيء يغنينا عن الرياح في عملية جريانها على الماء ولكن يأتي الجواب الساطع الصريح "أن كل جهاز احتراق إذا انعدمت الريح توقف عن العمل فالأوكسجين الذي يوجد في الهواء والرياح إذا توقف هذا الأوكسجين توقفت الحركة ليس فقط في المراكب الشراعية، ولكن كافة أنواع المراكب التي تستخدم أنواع الوقود وتتحرك باستخدام الفحم أو النفط أو الوقود النووي إذا انعدمت الريح توقف عن العمل؛ لأن وسيلتها في الاحتراق غاز الأوكسجين في الجو"[٩٥]، وفي كل هذا آيات ربانية جديرة بالتمعن لإثبات قدرة الله وإحاطته وعلمه التي لا يقدر قدرها إلا الصبار الشكور الثابت على إيمانه الصابر على ما يصيبه الشاكر لله على فضله، فتسخير الرياح لإجرائها أعظم الدلائل على إثبات توحيد الله تعالى الذي لا شبيه ولا نظير له[٩٦]، فلو غير المسلم سمع ذلك وفهمه لقال: أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمد رسول الله وقوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ}[٩٧] آية أخرى من آيات الله في جريان هذه الرياح المرسلة من عنده تدفع السفن على ظهر البحار والأنهار وتسيرها حيث يريد الناس، وذلك بأمر الله وقدرته ولو شاء لأمسك الريح فظلت السفن رواكد على ظهر الماء لا تتحرك إلى أي اتجاه[٩٨]، وفي آية أخرى قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ}[٩٩] استشهاد آخر باهر على قدرته جل وعلا وغاية حكمته عز وجل وشمول إنعامه تبارك وتعالى والمراد بنعمة الله تعالى إحسانه سبحانه في تهيئة أسباب

---

[٩٢] في ظلال القرآن: لسيد قطب، (٥/ ٣١٥٩).

[٩٣] ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا، مؤسسة الرسالة، ط١(١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م)، (٧٥٩).

[٩٤] ينظر: تفسير الخواطر: لمحمد الشعراوي، (١٢/ ٧٥٤٠ -٨٦٧٤).

[٩٥] من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: لزغلول النجار، (٣٠/٢).

[٩٦] ينظر: أحكام القرآن: أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر(ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، (دار إحياء التراث العربي – بيروت)، ط٢(١٤٠٥هـ)،(١/ ١٢٧).

[٩٧] سورة الروم: بعض الآية (٤٦).

[٩٨] ينظر: التفسير القرآني للقرآن: لعبد الكريم الخطيب، (١١/ ٥٣٥).

[٩٩] سورة لقمان: بعض الآية (٣١).

الجري من الريح وتسخيرها لجريان السفن[١٠٠]، إشارة إلى أن الفلك تجرى مدفوعة بنعمة الله ومسيرة بقدرته، فالباء هنا للاستعانة كما تقول: استدفأت بالنار وتطهرت بالماء وعلى هذا تكون نعمة الله هي الريح التي تدفع وتحرك الفلك[١٠١]، أشار إلى السبب والمسبب فقوله: {الْفُلْكَ تَجْرِي} إشارة إلى المسبب وقوله: { بِنِعْمَتِ اللَّهِ} إشارة إلى السبب أي إلى الريح التي هي بأمر الله ليريكم من آياته يعني يريكم بإجرائها بنعمته من آياته أي بعض آياته[١٠٢]، فالباء في {بِنِعْمَتِ اللَّهِ} باء السبب التي يريد بها الريح التي تدفع السفن[١٠٣]؛ لأن الريح من نعم الله علينا وذلك من أعظم نعمه عز وجل لأنها تخلصكم من الغرق عند أسفاركم في البحر لطلب الرزق[١٠٤]، و وصف القرآن الكريم مشاهد ركابي السفن التي تمر بهم بسبب تصرفه تعالى في قوة وطبيعة حركة وجريان الريح التي تعتمد عليها السفن في جريانها فوصفها في ثلاثة مشاهد جاءت تتحدث عنها الآيات:

فالمشهد الأول: ريح ساكن لا تتحرك بها السفن وما يصاحب هذه المشهد من حالة اليأس والإحباط لراكبي السفن حيث تتوقف الرياح عن الحركة والتي تعتبر هي المحرك لعملية جريان السفن فتبقى راكدة على ظهره مثقله بحملها منقطعة عن عملها قال تعالى: {إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣) أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ}[١٠٥] فعند توقفها يصاب ركابها بالإحباط واليأس لعدم تحقق مرادهم ومبتغاهم في ركوبهم البحر، أو يوبقهن بما كسبوا و يهلكهن يقال: أوبق أي: أهلكه والمعنى أنه تعالى إن شاء ابتلى المسافرين في البحر بإحدى بليتين إما أن يسكن الريح فتركد الجواري على متن البحر وتقف وتنقطع عن الجريان، أو يغرقهن[١٠٦]، وعن هذه الحالة قال سيد قطب (رحمة الله): "وإنها لتركد أحيانا فتهمد هذه الجواري وتركد كما لو كانت قد فارقتها الحياة فيحطمهن أو يغرقهن بما كسب الناس من ذنب ومعصية ومخالفة عن الإيمان الذي تدين به الخلائق كلها فيما عدا بعض بني الإنسان"[١٠٧]، عن ابن زيد(رحمه الله): في قوله: {أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا} قال: يوبقهن بما كسبت أصحابهن وقوله: {وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ} ويصفح تعالى ذكره عن كثير من ذنوبكم فلا يعاقب عليها[١٠٨]، وعلى هذا فدلت هذه الآية أنه تعالى لما كان هو المسكن لها بسكون الريح فيكون هو المجري لها بحركة الريح

---

[١٠٠] ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (دار إحياء التراث العربي – بيروت)،ط١ (١٤١٨هـ)، (٤/ ٢١٧).

[١٠١] ينظر: التفسير القرآني للقرآن: لعبد الكريم الخطيب، (١١/ ٥٩١).

[١٠٢] مفاتيح الغيب: للرازي، (٢٥/ ١٣١).

[١٠٣] ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (دار الكتب العلمية – لبنان)،ط١(١٤١٣هـ- ١٩٩٣م)،(٤/ ٣٥٥).

[١٠٤] ينظر: تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: ٧١٠هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، (دار الكلم الطيب- بيروت)، ط١(١٤١٩هـ – ١٩٩٨م)،(٢/ ٧٢١).

[١٠٥] سورة الشورى: بعض الآية (٣٣-٣٤).

[١٠٦] ينظر: مفاتيح الغيب: للرازي، (٢٧/ ٦٠٢).

[١٠٧] في ظلال القرآن: لسيد قطب، (٥/ ٣١٥٩).

[١٠٨] ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١(١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م)،(٢١/ ٥٤٣).

والمشـــهد الثـــاني: ريـــح طيبـــة بهـــا تجـــري الســـفن ومـــا يصـــاحب هـــذا المشـــهد مـــن حالـــة فـــرح وســـرور واستبشـــار لراكبـــي الســـفن بـــالريح الطيبـــة المحركـــة لســـفنهم إلـــى مبتغـــاهم فقـــال تعـــالى: { هُـــوَ الَّـــذِي يُسَـــيِّرُكُمْ فِـــي الْبَـــرِّ وَالْبَحْـــرِ حَتَّـــى إِذَا كُنْـــتُمْ فِـــي الْفُلْـــكِ وَجَـــرَيْنَ بِهِـــمْ بِـــرِيحٍ طَيِّبَـــةٍ وَفَرِحُـــوا بِهَـــا}[١٠٩]، فهـــو تعـــالى الـــذي يســـيركم و يـــنقلكم مـــن مكـــان إلـــى آخـــر فـــي البـــر والبحـــر ويحفظكـــم بحراســـته[١١٠]، ويلاحـــظ أن الله تعـــالى أســـند ســـيرهم وجريـــانهم فـــي البحـــر إليـــه عـــز وجـــل فقـــال: {هُـــوَ الَّـــذِي يُسَـــيِّرُكُمْ} "وإســـناد التســـيير إلـــى الله تعـــالى باعتبـــار أنـــه ســـببه؛ لأنـــه خـــالق إلهـــام التفكيـــر وقـــوى الحركـــة العقليـــة والجســـدية فالإســـناد مجـــاز عقلـــي"[١١١]، وجـــرت هـــذه الفلـــك بمـــن فيهـــا بســـبب ريـــح طيبـــة رخـــاء مواتيـــة لهـــم فـــي جهـــة ســـيرهم والطيـــب مـــن كـــل شـــيء مـــا يوافـــق الغـــرض والمنفعـــة يقـــال: رزق طيـــب ونفـــس طيبـــة[١١٢]، والمـــراد بـــالريح الطيبـــة الـــريح المناســـبة لســـير الســـفن والموافقـــة لاتجاههـــا إلـــى المكـــان الـــذي تقصـــدونه وأنـــتم فـــي حالـــة فـــرح غـــامر وســـرور شـــامل بســـرعة ســـيرهم، ومـــا هـــم فيـــه مـــن راحـــة وانتعـــاش وتمتـــع بمنظـــره الجميـــل وهوائـــه العليـــل[١١٣]، وقـــد جـــاء التعبيـــر القرآنـــي فـــي قولـــه تعـــالى: {وَجَـــرَيْنَ بِهِـــمْ} بنـــون النســـوة التـــي هـــي للعقـــلاء مســـتعملا إياهـــا للفلـــك، وهـــى غيـــر عاقلـــة وكـــان المتوقـــع أن يجـــيء التعبيـــر (وجـــرت بهـــم) وفـــى هـــذا مـــا يشـــير إلـــى أن الفلـــك وهـــى تجـــرى فـــي ريـــح طيبـــة وعلـــى ظهـــر بحـــر ســـاكن ســـاج قـــد كـــان لهـــا ســـلطان علـــى هـــذا البحـــر تغـــدو وتـــروح عليـــه كيـــف تشـــاء وتتصـــرف كمـــا تريـــد حتـــى لكأنهـــا ذات عقـــل مـــدبر وإرادة نافـــذة[١١٤]،وفـــي قولـــه: (بهـــم) التفـــات عـــن الخطـــاب إلـــى الغيبـــة، فـــإن قلـــت: مـــا فائـــدة صـــرف الكـــلام عـــن الخطـــاب إلـــى الغيبـــة؟ قلـــت: المبالغـــة كأنـــه يـــذكر لغيـــرهم حـــالهم ليعجـــبهم منهـــا ويســـتدعى مـــنهم للإنكـــار والتقبـــيح علـــيهم لمـــا وصـــفهم بـــه بعـــد ذلـــك مـــن كفـــر النعمـــة[١١٥]، وفـــى التعبيـــر القرآنـــي قـــال: {وَجَـــرَيْنَ بِهِـــمْ بِـــرِيحٍ طَيِّبَـــةٍ} ولـــم يجـــيء التعبيـــر (وجـــرين بهـــم فـــي ريـــح طيبـــة) فقرنـــت البـــاء مـــع الـــريح (بـــريح) وذلـــك ليـــدل علـــى أن الـــريح هـــي التـــي تحـــرك الفلـــك وتـــدفعها فالبـــاء هنـــا بـــاء الاســـتعانة التـــي تـــدخل علـــى الأداة التـــي يســـتعان بهـــا علـــى العمـــل كمـــا يقـــال: كتبـــت بـــالقلم وانتقلـــت بالقطـــار، وهـــذا مـــا لا يفيـــد مـــع حـــرف الجـــر (فـــي) الـــذي يجعـــل الـــريح ظرفـــا يحتـــوى الســـفينة مـــن جميـــع جهاتهـــا، ولا يـــدفع بهـــا ويوصـــلها إلـــى جهـــة مـــا[١١٦]، وفرحـــوا بهـــا لمـــا يكـــون لهـــم فـــي هـــذه الحالـــة مـــن الراحـــة والانتعـــاش، والأمـــن مـــن دوار البحـــر والتمتـــع بمنظـــره الجميـــل فـــي ذلـــك الهـــواء لـــين الهبـــوب وفرحـــوا بهـــا لســـهوله الســـير فيهـــا، فقـــد وصـــف القـــرآن نـــوع تلـــك الـــريح بأنهـــا طيبـــة {وَجَـــرَيْنَ بِهِـــمْ بِـــرِيحٍ طَيِّبَـــةٍ} و وصـــف حالـــة راكبيهـــا بـــالفرح والاستبشـــار بـــالخير {وَفَرِحُـــوا بِهَـــا} ؛ لأن الإنســـان إذا ركـــب الســـفينة ووجـــد الـــريح الطيبـــة الموافقـــة للمقصـــود حصـــل لـــه النفـــع التـــام والمســـرة العظيمـــة بجريـــان الـــريح لـــه إلـــى مقصـــده و وجهتـــه التـــي يبتغيهـــا[١١٧]، ففـــي هـــذا المشـــهد تـــأتي الـــريح الطيبـــة النافعـــة، لتحريـــك

---

[١٠٩] سورة يونس: بعض الآية (٢٢).

[١١٠] ينظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (٤/ ٢٢٦).

[١١١] التحرير والتنوير: لابن عاشور، (١١/ ١٣٥).

[١١٢] ينظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (٤/ ٢٢٦).

[١١٣] ينظر: تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر)، ط١(١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م)، (١١/ ٨٩).

[١١٤] ينظر: التفسير القرآني للقرآن: لعبد الكريم الخطيب، (٦/ ٩٨٣).

[١١٥] ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، (دار الكتاب العربي – بيروت)، ط٣(١٤٠٧هـ)، (٢/ ٣٣٨).

[١١٦] ينظر: التفسير القرآني للقرآن: لعبد الكريم الخطيب، (٦/ ٩٨٣).

[١١٧] مفاتيح الغيب: للرازي، (١٧/ ٢٣٢).

السفن بعد أن كانت رواكد على ظهر البحر فتجري بحمولتها على تلك الأمواج بحفظ الله ورعايته فينتفع منها وهي تمخر البحر بعد أن دفعتها الريح الطيبة وحركتها من مكانها، ويلاحظ هنا أن الريح الطيبة وهي المحركة للسفن جاءت هنا بلفظ المفرد فقال تعالى: {وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ} ومن المعلوم كما أشرت اليه في المبحث الأول إذا أفردت الريح فعرفها أن تستعمل في العذاب والمكروه حسب استعمال لفظ الريح بالأفراد في السياق القرآني ولكنها هنا جاءت بلفظ المفرد، وكان من نتيجتها فرح وسرور واستبشار بالخير، وذلك لأن السفينة لا تسير إلا بريح واحدة من وجه واحد فإذا اختلفت عليها الرياح كانت سبباً للهلاك والمطلوب هنا ريح واحدة لتصح عملية جريانها ولهذا أكد بوصفها بالطيب[١١٨]؛ لأن إفراد الريح مع السفن هو للرحمة بها ولو أنها جمعت فقد يدل الجمع على مجيء الريح من مهاب متعددة وفي ذلك دمار لها، ومن المعلوم ان الريح لا يحسن في البحر أن تكون إلا واحدة متصلة لا متقطعة فخرجت عن ذلك العرف وبرع المعنى بما يتفق مع عملية جريانها على الماء وهذا هو المعروف والمشاهد لدى الإنسان[١١٩]، وهذه الريح لا ضرر فيها ولا خوف ألا ان الركاب قد يواجهون بعد هذه الريح ريح مختلفة شديده تلحق بهم الضرر والخوف

وأما المشهد الثالث والأخير: ريح عاصفة شديدة تهيج الأمواج وتهلك بها السفن وما يصاحب هذا المشهد من حالة الخوف واللجوء إلى الله في مواجهة الريح العاصف التي حلت بهم بعد الريح الطيبة، ونقلتهم من حالة فرح وسرور إلى حالة خوف وحذر، مما سيحل بهم فيصف القرآن مشهد جريانها في نفس الآية التي وصفت الحالة السابقة فقال تعالى: {هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ }[١٢٠]، فما أكثر ما يركب الناس البحر في ريح رخاء تصحبهم فيها السكينة والبهجة، ثم على حين غرة يموج بهم البحر ويضطرب وتزمجر حولهم العواصف وتصرخ بهم الريح في جنون مخيف، وإذا الهلع والفزع ولا ملجأ من هذا الموت الفاغر ولا عاصم من هذا الهلاك الا الله تعالى[١٢١]، فيصف قوة جريان الريح{ رِيحٌ عَاصِفٌ} والريح العاصف ريح شديدة الهبوب قوية يقال: عصفت الريح وأعصفت فهي عاصف إذا اشتدت في سرعتها و هيجنها[١٢٢]، ومعنى عصفت الريح اشتدت وأصل العصف السرعة وإنما قال: عاصف؛ لأنه أراد به ذات عصوف محطمة تعصف الأشياء فتكون كعصف النبات، وهو الحطام المتكسر منه بتأثير قوة جريان الريح[١٢٣]، ويصف ما حولهم وما هو محيط بهم وما تكون بفعل هذه الريح { وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ} والموج ما علا وارتفع من الماء في البحر[١٢٤]، والذي يتكون نتيجة الريح العاصف و حركة الماء واختلاطه من كل مكان[١٢٥]، فجاءت تلك

---

[١١٨] ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)،(دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان)، ط١(١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م)،(٣/ ٤٨١).

[١١٩] ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية، (٣/ ١١٣).

[١٢٠] سورة يونس: بعض الآية (٢٢).

[١٢١] ينظر: التفسير القرآني للقرآن: لعبد الكريم الخطيب، (٦/ ٩٨٢).

[١٢٢] ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم: للطنطاوي، (٧/ ٥٠).

[١٢٣] ينظر: تفسير المنار: لمحمد القلموني، (١١/ ٢٧٦).

[١٢٤] ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم: للطنطاوي، (٧/ ٥٠).

[١٢٥] ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: للبغوي،(٢/ ٤١٥).

الريح فاضطرب البحر وتلاطمت الأمواج العالية من مختلف الجهات بسبب الريح؛ لأن العامل الرئيسي الذي يحرك مياه المحيطات هو الرياح واضطرب البحر، وتموج سطحه كله فتلقاهم موجه من جميع الجوانب والنواحي بقوة الريح التي ترفع الماء في أمواج عالية مخيفة، فالسفينة وركابها هنا ترفعهم الريح وتخفضهم في وديان وجبال من الأمواج، وهم كالريشة في مهب الريح وسط هذا الماء الذي أبعدهم عن اليابس، فتحولت حالتهم من فرح وسرور إلى خوف وحذر مما سيحل بهم بسبب هذه الريح العاصف، "ولعل أبدع ما قيل في وصف زمجرة البحر "والزوبعة"[١٢٦] البحرية التي تدوم ثلاث أيام أو أربعة لا تقعد لها قائمة لجج متصاعدة كالجبال وخنادق منخفضة، كالأودية اتصال ما بين البحر والسماء لا بر ينظر ولا أفق يبصر فالموج الذي يرتفع عادة الى (٢٥) قدماً قد يرتفع في أيام العاصفة إلى (١٣٠) قدماً وإذا عرفت أن القدم الواحد في كل موجة قوة مدمرة زنتها ستة آلاف رطل لأمكننا أن نتصور مدى الدمار الذي تنتجه هذه الأمواج ففي عام(١٨٧٢م) اقتلعت موجة عاتية في (اسكتلندا) مرسى حديدي زنته مليوناً و٧٠٠آلف رطل وأخرى حملت صخرة زنتها (١٧٥) آلف رطل الى ارتفاع مئة قدم"[١٢٧]، ويصف حالهم وما غلب على ظنهم في هذا الموقف المخيف {وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ}، والظن هنا بمعنى اليقين أو الاعتقاد الراجح[١٢٨]، وظنوا أنهم أحيط بهم هلاكهم وسدت عليهم مسالك الخلاص، كمن أحاط به العدو فعلموا وأيقنوا أنه قد دنا هلاكهم، وأصل هذا أن العدو إذا أحاط بالقرية يقال: دنا أهلها من الهلكة[١٢٩]، وظنهم هذا بسبب إحاطتهم بالموج من كل مكان، بعد أن ظهرت علامات الهلاك دفعة واحد وهي:

اولاً: جاءتهم ريح عاصف شديدة

ثانياً: وجاءتهم الأمواج العظيمة من كل جانب

أخيراً: وغلب على ظنونهم أن الهلاك واقع وأن النجاة ليست متوقعة[١٣٠]، فيضطرهم هذا الموقف في اللجوء إلى الله تعالى وتأتي دعواتهم وتظهر وقلوبهم يملأها الإخلاص متبرئة من أصنامهم وأوثانهم يقطعون الوعد مع الله {دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ}، قالوا يا رب لأن أنجيتنا من ما نحن فيه لنكونن من الشاكرين لا نشرك بك أحدا ولنفردك بالعبادة هناك كما أفردناك بالدعاء هاهنا[١٣١]، قال الله تعالى: {فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ}[١٣٢]، وفي نجاتهم دليل على أن الخلق جبلوا على الرجوع إلى الله في الشدائد وأن المضطر يجاب دعاؤه وإن كان كافرا[١٣٣]، ويحكى أن رجل قال لجعفر الصادق: اذكر لي دليلا على إثبات الصانع فقال: أخبرني عن حرفتك: فقال: أنا رجل أتجر في البحر فقال: صف لي كيفية حالك فقال: ركبت البحر فانكسرت السفينة وبقيت على لوح واحد من ألواحها

---

[١٢٦] الزَوْبَعَةَ: هي الإعصار والزَّوْبَع والزَّوْبَعَةُ الريح تثير الغبار أو الماء وتديره في الأرض حتى ترفعه إلى السماء كأنه عمود ولا تقصد وجهاً واحداً وصبيان الأعراب يكنون الإعصار أبا زَوْبَعَةَ، ينظر: مختار الصحاح: للرازي، (١٣٤).

[١٢٧] من آيات الأعجاز العلمي في القرآن الكريم: لزغلول النجار، (٤٣٣/٢).

[١٢٨] ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم: للطنطاوي، (٧/ ٥٠).

[١٢٩] ينظر: بحر العلوم: للسمرقندي، (٢/ ١١٠).

[١٣٠] ينظر: مفاتيح الغيب: للرازي، (١٧/ ٢٣٢).

[١٣١] ينظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (٤/ ٢٢٦).

[١٣٢] سورة يونس: بعض الآية (٢٣).

[١٣٣] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، (٢/ ١٩٩).

وجاءت الرياح العاصفة فقال جعفر: هل وجدت في قلبك تضرعا ودعاء فقال نعم فقال جعفر: فإلهك هو الذي تضرعت إليه في ذلك الوقت[١٣٤]، فبعد أنجاهم من تلك الحالة إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق فنكثوا عهدهم ووعدهم الذي قطعوه مع الله تعالى، "عجيب هذا المخلوق الإنساني لا يذكر الله إلا في ساعة العسرة ، ولا يثوب إلى فطرته وينزع عنها ما غشاها من شوائب وانحرافات إلا في ساعة الكربة، فإذا أمن فإما النسيان وإما الطغيان ذلك إلا من اهتدى فبقيت فطرته سليمة حية مستجيبة في كل آن مجلوة دائما بجلاء الإيمان"[١٣٥]، ويلاحظ هنا وصف البغي بأنه بغي بغير الحق مع أن البغي لا يكون إلا عدواناً على الحق فكيف يلحقه هذا الوصف الذي يفهم منه أن هناك بغيا بحق وبغيا بغير حق؟ والجواب هنا هو أن وصف بغيهم بأنه بغى بغير الحق فيه تغليظ لهذا البغي على وجهه القبيح فالبغي في ذاته جريمة منكرة، فهو محتاج إلى أن يكون أكثر من بغى حتى ينكر عليهم، فهو بغى على وصف خاص بغى بغير حق حتى عند أهل البغي أنفسهم[١٣٦]، ومن خلال هذه المشاهد التي يصورها لنا القرآن والانتقال بهم بحالات ثلاث من إحباط وفرح وخوف بجريان الرياح للفلك يريد الله أن يبين أن الإنسان لا يعرف ربه إلا في ساعة الضيق حتى إذا جاءه الفرج نسي الله الذي فرج عنه ولكنه لا يقولها في مثل هذا النسق الذهني إنما يرسم صورة حافلة بالحركة المتجددة، والمشاهد المتتابعة ويرسم في خلالها نموذجاً إنسانيا كثير التكرار في بني الإنسان وهكذا تحيا الصورة وتتحرك وتموج وتضطرب وترتفع الأنفاس مع تماوج السفينة وتنخفض

المطلب الرابع: وظيفة جريانها في العذاب وإهلاك بعض الأمم:

من المعلوم أن الريح خلق من خلق الله فهو المتصرف في أحوالها و وظائف جريانها فكما تكون للرحمة قد تكون للعذاب فتكون جنداً من جنود الله يؤدب بها من يشاء من خلقه فقد أهلك الله بالريح أمما وأقواما واستنصر بها لآخرين عن ابن جريج (رضي الله عنه) في قوله { وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ}[١٣٧] قال: إذا شاء جعلها رحمة وإذا شاء جعلها عذابا[١٣٨]، فخلق الله للشيء الواحد فقد يكون للرحمة وقد يكون للعذاب وبياناً للمعنى المراد إيصاله هنا سأذكر صورةٍ من صور جريانها في العذاب فمن الريح ما يصفها القرآن الكريم بأنها صرصر عاتية فذكر الله عز وجل في مواضع كثيرة أنه بعد الإملاء والإمهال لعاد أهلكهم بهذا النوع من الريح التي وصف طبيعتها وقوتها ومدة جريانها، وما خلفته من بعدها فقال تعالى: {وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ }[١٣٩]، هذا إخبار من الله تعالى عن عبده ورسوله هود (عليه السلام) أنه دعا قومه عادا وكان قومه يسكنون الأحقاف وهي جبال الرمل قريبا من حضرموت من جهة بلاد اليمن، وكان زمانهم بعد قوم نوح (عليه السلام) قال: {وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً }[١٤٠]

---

[١٣٤] ينظر: مفاتيح الغيب: للرازي، (١٧/ ٢٣٣).

[١٣٥] في ظلال القرآن: لسيد قطب، (٣/ ١٧٧٣).

[١٣٦] ينظر: التفسير القرآني للقرآن: لعبد الكريم الخطيب، (٦/ ٩٨٥).

[١٣٧] سورة البقرة: بعض الآية (١٦٤).

[١٣٨] ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور: للسيوطي، (٧/ ٤٢٣).

[١٣٩] سورة الحاقة: بعض الآية (٦-٧).

[١٤٠] سورة الأعراف: بعض الآية (٦٩).

وذلك أنهم كانوا في غاية من القوة، و مع ذلك كانوا يعبدون غير الله[١٤١]، فأهلكوا هلاكا ساحقا بجريان ريح شديدة الهبوب جاوزت الحد لشدة هولها وطول زمنها وشدة بردها عتت عليهم بغير رحمة ولا شفقة وأرسلها عليهم طوال مدة مستمرة هي سبع ليال وثمانية أيام لا تنقطع ولا تهدأ عنهم، فوصف هذه الريح بانها ريح صرصر، والريح الصرصر هي الريح العاصفة الباردة القاتلة ببردها[١٤٢]، تحرق ببردها كإحراق النار قال الضحاك(رضي الله عنه): إنها الشديدة الصوت[١٤٣]، أي: شديدة لها صرصرة[١٤٤]، وفي اللغة صَرْصَرٌ الصوت الشديد أو شديدة البرد والصَّرْصَرُ نعت لها[١٤٥]، وكل صوت إذا امتد فهو صرير وصرت الآذان إذا سمعت لها صوتا ودويا والصَّرَّةُ شدة الصياح يقال: قد صَرْصَرَ الصقر يُصَرْصِرُ صَرْصَرَةً[١٤٦]، وصرصر متكرر فيها البرد كما تقول قد قلقلت الشيء وأقلت الشيء إذا رفعته من مكانه إلا أن قلقلته رددته أي كررت رفعه وكذلك صرصر وصر وصلصل وصل إذا سمعت صوت الصرير غير مكرر قلت قد صَرَّ وصل فإذا أردت أن الصوت تكرر قلت قد صَلصَل وصَرْصَر[١٤٧]، ولشدة هبوبها وصفها بإنها عاتية فقال: {بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ} فهي شديدة العصف كأنها عتت على خزانها فلم يتمكنوا من ضبطِها أو على عاد فلم يقدروا على ردها، وأصل العتو مجاوزة الحد[١٤٨]، قال قتادة (رضي الله عنه): شديدة الهبوب عتت عليهم حتى نقبت عن أفئدتهم[١٤٩]، وكان عتوها عليهم بغير رحمة ولا بركة دائمة فلم تطعهم ولم يطيقوها فلم يستطيعوا الاحتراز منها أو ردها من شدة هبوبها غضبت لغضب الله[١٥٠]، و كان وقوع العذاب بهم لما تمردوا وعتوا أهلكهم الله بهذه الريح لعاتية فكانت تحمل الرجل منهم فترفعه في الهواء ثم تنكسه على أم رأسه فتلثغ رأسه حتى تبينه من بين جثته ولهذا قال كأنهم أعجاز نخل خاوية[١٥١]، وما ذكره جل وعلا من إهلاكه عادا بهذه الريح الصرصر جامعة بين الأمرين فهي باردة شديدة البرد عاصفة شديدة الهبوب وفي مدة جريانها وعذابها لهم قال:{ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا}، سخرها عليهم سلطها عليهم والتسخير استعمال الشيء مع الاقتدار عليه سبع ليال هذه الجملة مستأنفة لبيان كيفية إهلاكهم[١٥٢]، سبع ليال وثمانية أيام كانت مدتها قال وهب بن منبه (رحمه الله): هي الأيام التي تسميها العرب أيام العجوز ذات برد ورياح شديد قيل: سميت عجوزا؛ لأنها في عجز الشتاء وقيل: سميت بذلك؛ لأن عجوزا من قوم عاد دخلت سربا فتبعتها الريح فقتلتها في اليوم الثامن من نزول

---

[١٤١] ينظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (٦/ ١٣٧).

[١٤٢] ينظر: التفسير القرآني للقرآن: لعبد الكريم الخطيب، (١٥/ ١١٢٧).

[١٤٣] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، (١٨/ ٢٥٩).

[١٤٤] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبي السعود، (٩/ ٢٢).

[١٤٥] ينظر: تاج العروس: للزبيدي، مادة صرصر (١٢/ ٣٠٢).

[١٤٦] ينظر: الفرق: لأبي حاتم السجستاني، (٢٥٣).

[١٤٧] ينظر: معاني القرآن وإعرابه: للزجاج، (٥/ ٢١٤).

[١٤٨] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبي السعود، (٩/ ٢٢).

[١٤٩] ينظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (٨/ ٢٢٥).

[١٥٠] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، (١٨/ ٢٥٩).

[١٥١] ينظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (٣/ ٣٩٠).

[١٥٢] ينظر: فتح القدير: للشوكاني، (٥/ ٣٣٤)

العذاب[١٥٣]، وقوله تعالى: {حُسُوماً} متتابعاتٍ جمع حاسمٍ كشهود جمع شاهد " فمعنى قوله {حُسُوماً} نحسات حسمت كل خير واستأصلت كل بركة"[١٥٤] قال تعالى: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ}[١٥٥] فهي من حسمت الدابة إذا تابعت كيها فكانت الريح عليهم متتابعة[١٥٦]، قال مجاهد وقتادة (رضي الله عنهما): متتابعة ليس فيها فترة[١٥٧]، ما خفتت ساعة عنهم حتى أتت عليهم تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في إعادة الكي على موضع الداء بالمكواة حتى يبرأ، فهي ذات حسوم تحسم حسوما بمعنى تستأصل استئصالا[١٥٨]، ومن معنى الحسم في اللغة القطع بالاستئصال وسمي السيف حساما لأنه يحسم العدو عما يريد من بلوغ عداوته فلما كانت تلك الرياح متتابعة ما سكنت ساعة حتى أتت عليهم شبه تتابعها عليهم تتابع فعل الحاسم[١٥٩]، لتناسب عتو عاد وجبروتها المحكي في القرآن والتعبير { سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا } يرسم مشهد العاصفة المزمجرة المستمرة في القطع المدمرة المستمرة طيلة هذه الفترة الطويلة المحددة بالدقة[١٦٠]، إشارة إلى اشتمال العذاب عليهم هذا الزمن الذي تجرعوا فيه غصص الموت قطرة قطرة[١٦١]، فقال: {فَتَرَى القوم} إن كنت حاضراً حينئذٍ {فِيهَا} في مهابها أو في تلك الليالي والأيام {صرعى} موتى جمع صريع {كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ} أي: أصول نخل {خَاوِيَةٍ} متآكلة الأجواف[١٦٢]، فكان من نتيجتها عليهم أنها ما اتت عليهم بخير بل هي ريح عقيم فيها دمارهم وهلاكهم قال تعالى: { وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (٤١) مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ }[١٦٣]، والريح العقيم هي التي لا يكون معها لقح ولا تأتي بمطر وإنما هي ريح هلاك ومفسدة لا تنتج[١٦٤]، وعن الضحاك (رضي الله عنه) في قوله {الرِّيحَ الْعَقِيمَ} قال: الريح التي ليس فيها بركة ولا تلقح الشجر [١٦٥]، "وسميت الريح التي أرسلت على عاد عقيما؛ لأنها لم تكن تحمل ماء ولا حياة كما توقعوا إنما تحمل الموت والدمار"[١٦٦]، لا خير بجريانها فلا تلقح الأشجار ولا السحاب عقيم لا تأتي بالخير[١٦٧]، و عن ابن عباس (رضي الله عنهما) عن النبي (صلى

---

[١٥٣] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، (١٨/ ٢٦٠).

[١٥٤] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري، (٤/ ٥٩٩).

[١٥٥] سورة فصلت: بعض الآية (١٦).

[١٥٦] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبي السعود، (٩/ ٢٢).

[١٥٧] ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: للبغوي، (٥/ ١٤٤).

[١٥٨] ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري، (٤/ ٥٩٩).

[١٥٩] ينظر: مفاتيح الغيب: للرازي، (٣٠/ ٦٢٢).

[١٦٠] ينظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب، (٦/ ٣٦٧٨).

[١٦١] ينظر: التفسير القرآني للقرآن: لعبد الكريم الخطيب، (١٥/ ١١٢٧).

[١٦٢] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبي السعود، (٩/ ٢٢).

[١٦٣] سورة الذاريات: بعض الآية (٤١ ٤٢).

[١٦٤] ينظر: معاني القرآن وإعرابه: للزجاج، (٥/ ٥٦).

[١٦٥] ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري، (٢٢/ ٤٣٣).

[١٦٦] في ظلال القرآن: لسيد قطب، (٦/ ٣٣٨٤).

[١٦٧] ينظر: بحر العلوم: للسمرقندي، (٣/ ٣٤٦).

الله عليه و سلم) قال: ((نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور))[١٦٨]، و يؤيده قول أبن عباس (رضي الله عنهما) قال: هي ريح الدبور[١٦٩]، فكان من نتيجتها وما خلفته بعدها الا الهلاك فقال تعالى: { مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ}، ما تذر من شيء أتت عليه أي مما تفسده الريح بجريانها إلا جعلته كالرميم أي كالشيء الهالك البالي الذي لا ينفع بشيء[١٧٠] ، والرميم كل ما رم أي تفتت من عظم أو نبات أو أي شيء غير ذلك[١٧١]، فكانت هذه الريح لا تمر على شيء إلا دمرته وذهبت بمعالم الحياة والخير فيه إنها آية من عند الله مسلطة على أعداء الله ترميهم بالهلاك والدمار[١٧٢]، كما يصف حالهم ودمارهم في آية أخرى في وصف هذه الريح قال تعالى: {مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ}[١٧٣]، فمشهدهم وحالهم يصوره القرآن الكريم لنا كأنه حاظر أمام أعيننا قال سيد قطب (رحمه الله): " إنه مشهد حاضر شاخص مشهد ساكن كئيب بعد العاصفة المزمجرة المدمرة"[١٧٤]، وهذا على خلاف الأصل في الريح فالأصل فيها إنها تجئ محملة بالخير بل والحياة للأحياء كلها إذ منها يتنفس كل حي أنفاس الحياة ولكن هذه النعمة قد صارت نقمة على القوم الضالين، فأهلكتهم ودمرتهم، وفيه إشارة إلى أنه تعالى إذا عذب قدر على أن يعذب بما به سر البقاء والوجود وهو التراب والماء والهواء والنار فحكايات لوط تدل على أن التراب الذي منه الوجود والبقاء إذا أراد الله جعله سبب الفناء، والماء كذلك في قوم فرعون والهواء في عاد، والنار في ثمود[١٧٥]، وإنما عذبت عاد بهذا النوع من العذاب بجريان الريح عليهم لأنهم اغتروا بطول قاماتهم، وعظم أجسادهم، وزيادة قوتهم فظنوا أن الجسم إذا كان في القوة والثقل بهذه المرتبة فهو يثبت في مكانه ويستمسك ولا يزيله عن مقره شيء من البلاء فسلط الله عليهم الريح فكانت أجسامهم كريشة في الهواء[١٧٦]، فالريح تتحول الى قوة من قوى هذا الكون وجند من جنود الله {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ}[١٧٧] تأتمر بأمره وتجري وفق إرادته إن شاء يرسلها في صورة ما من الصور في الوقت المقدر والمكان المحدد والعدو المقصود بالهلاك والدمار أو إن شاء أرسلها بالخير والحياة فتجري السفن وتلقح السحب وتخصب النبات فلا مكان ولا تصديق للقول بأن الريح تجري وفق نظام كوني وتهب هنا أو هناك تبعا لعوامل طبيعية فالذي يجريها وفق ذلك النظام وتبع هذه العوامل هو الذي يسلطها على من يشاء عند ما يشاء وفق تقديره وتدبيره وهو قادر على أن يسلطها كما يريد في إطار نظام دقيق بمقدار معين.

---

[١٦٨] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: (٣/ ١١٧٢) كتاب، بدء الخلق، باب، ما جاء في قوله { وهو الذي أرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته }، برقم (٣٢٠٣٣).

[١٦٩] ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري، (٤/ ٤٠٣).

[١٧٠] ينظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (٧/ ٣٩٤).

[١٧١] ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري، (٤/ ٤٠٣).

[١٧٢] ينظر: التفسير القرآني للقرآن: لعبد الكريم الخطيب، (١٣/ ٢٨٤).

[١٧٣] سورة الذاريات: بعض الآية (٤٢).

[١٧٤] في ظلال القرآن: لسيد قطب، (٦/ ٣٦٧٨).

[١٧٥] ينظر: مفاتيح الغيب: للرازي، (٢٨/ ١٨٩).

[١٧٦] ينظر: روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإسطنبولي الحنفي المولى أبو الفداء (ت: ١١٢٧هـ)، (دار الفكر – بيروت) ط٢ (١٩٩٨م)، (٨/ ٢٤٥).

[١٧٧] سورة المدثر: بعض الآية (٣١).